الآراء الواردة في الصفحة تعبر عن وجهات نظر كتابها ، وقد لا تتفق بالضرورة مع وجهة نظر الجريدة

حق الدفاع المشروع عن النفس في مواجهة سياسة الإنكار من وجهة نظر القانون الدولي

زهير كاظم عبود
قانوني . السويد

كشف الإعلان العالمي لحقوق الإنسان ضمن سياق مادته الأولى عن الحرية التي يجب أن يتمتع بها الإنسان ، باعتبارها المحور الأساس لهذا الحق ، وانصبت جميع الوثائق الإقليمية والعالمية على ما يتعلق بحرية وكرامة وحق الإنسان في تقرير المصير . وتحدث الإعلان العالمي عن المساواة في الكرامة والحقوق ، وهذا الكشف يمثل تأكيدا دوليا على الأفكار والقيم التي ثبتتها البشرية وتعاملت بها الأديان والمجتمعات ، وأجمعت عليها مما يجعلها من الحقوق التي يقرها القانون الأنساني والدولي .

وحين يؤكد الإعلان العالمي لحقوق الإنسان على مسألة حق تقرير المصير ، فأنه يؤكد على الحرية التي يضمنها للأنسان باعتبار أن حق تقرير المصير لصيق بحرية الإنسان ، كما أن تلك الحرية تتيح له أن يختار ويقرر ويتمتع بالمركز القانوني وفقا للقانون الإنساني الدولي.

ومن خلال تلك الحرية يحق للشعوب أن تقرر مصيرها بنفسها ، وهذا الحق مطلق لايقتصر على مجموعة بشرية من دون أخرى، وحيث إن المطلق يجري على أطلاقه باعتبار أن الإنسان بشكل عام ولدا حرا لايمكن استعباده أو استعماره ، ولايمكن الغاء تلك الحرية بشكل قانوني أو شرعي الا بموافقته ورضاه وتنازله عنها ، ولايمكن بأي حال من الأحوال أن يتم تنصيب قيم أو وكيل أو راع من دون معرفته وموافقته ، وإذا كان لهذه المجموعة البشرية حق تقرير المصير فأنها بمقتضى هذا الحق تتمتع بحق تقرير مركزها القانوني والسياسي ، باعتبار أن لها كامل الحرية في السعي لبناء نمائها الاقتصادي والاجتماعي والثقافي والسياسي ، وهذا الحق طبيعي لايتم منحه من قبل جهة ما .إنما هو لصيق بالحياة الإنسانية .

هذا السعي يشكل حقا يؤكد مركزها القانوني ، ويكشف عن الأبعاد الإنسانية في احترام تلك الخصوصية في الثقافة العامة والعمل السياسي والعلاقات الاجتماعية ونمط الحياة الاقتصادية

وإذا كنا لانريد الحديث عن حق شعب كوردستان في تقرير مصيره أو التمتع بالحياة وفق الأسس الإنسانية ، وإذا كنا لانريد سبر أغوار التاريخ لاستعراض ما جرى لهذا الشعب من ويلات ومؤامرات مزقته بين دول عدة ، حيث جثمت فوق صدور أبنائه سلطات غاشمة وظالمة ، لم تفكر في أن توفر له ابسط وأدنى درجات الحقوق الإنسانية ، ومنعت عنه بناء مستقبله والتمتع بالحياة الحرة والكريمة بما يكفل له الخيار في شكل السلطة أو نوع الحكم الذي يريد أو حتى بالحلم الذي يراوده .

وتلجأ الشعوب الى كل الطرق لاستعادة حريتها وكرامتها ، وتستطيع أن تناضل بالطرق المتاحة في سبيل استرداد حقوقها الإنسانية التي تقرها الشرائع ويعترف بها القانون الدولي ، وإذا كانت السلطات التي تتحكم في مصير الأجزاء المتشظية من مناطق كوردستان صماء أو عمياء تعشش في عقول حكامها الشوفينية والتطرف القومي أو المغالاة والتعصب الأعمى ، وإزاء انغلاق المنافذ واللجوء الى القوة والعنف وأساليب القمع المؤدي الى الموت أو الخطورة على حياة الجماعة ، غالبا ما تلجا تلك المجموعات مضطرة إلى اختيار النضال والكفاح المسلح لإجبار تلك العقليات على الرضوخ للإقرار بتلك الحقوق .

وحيث أن وسيلة الكفاح المسلح التي تعتمدها قوى التحرر ، دفاعا عن الاستلاب اللاقانوني في قضية الحريات وحق تقرير المصير ، هي الوسيلة التي ترسم الطريق المشروع بديلا عن طريق الحوار والتفاوض الذي ترفضه تلك السلطات وتصم آذانها عنه ، وبديلا عن الجنوح نحو الإقرار بتلك الحقوق واعتماد لغة الحوار والخروج بصيغ إنسانية مشتركة ، تلجأ تلك السلطات الى توظيف ترسانتها العسكرية بكل ثقلها لقمع تلك الأصوات والأحزاب ، فتواجه بتلك المظاهر المسلحة المتواضعة المعبرة عن رفضها لأساليب الشوفينية وإلغاء حق الآخر في الحياة ، لايتبقى أمام تلك المجموعة البشرية غير دفاعها عن نفسها وحقوقها معا ، وهو حق مشروع ومحمي قانونا .

ويمكن أن تكون تجربة الأكراد في العراق أنموذجا واضحا لتلك الحقبة التاريخية المليئة بالمرارة ، التي أكلت من تأريخ العراق زمنا مرا ليس بالقصير ، خسر فيها العراق وسلطاته العربية التي تعاقبت على الحكم كما كبيرا وطاقات وكفاءات لاتعوض من أبناء العراق ، وخسر البلد ثروات كبيرة تم توظيفها في قتال الشعب الكوردي منعا لنيل حقوقه ومطالبه العادلة ، ذهبت هدرا وهباء منثوراً، وخسر شعب كوردستان أيضا عددا كبيرا من الشهداء وقدم التضحيات الجسام والدماء الغزيرة ، من دون أن تتوقف المطالبة بتلك الحقوق تحت كل الظروف ، وبالرغم من الالتفاف والدوران حول تلك الحقوق ، وبعد زمن طويل توصل العراق الى أن منح جزء من تلك الحقوق هو الفيصل الذي يوصل الجميع إلى بر الأمان ويعزز من الشراكة الحقيقية في الحياة ، ويساهم في تمتين الأطر والجسور بين تلك الشعوب ضمن سلطة اتحادية مع وجود نظام فيدرالي يحقق بعض الحقوق التي ناضل الكرد في سبيلها ، وبعد كل تلك المعارك والحروب وجد العراق أن لغة الحوار والشراكة الحقيقية هي البديل المنطقي والواقعي ليقر بحق الشعب الكوردي في خياره الإنساني ، وتطوي صفحة المرارة المليئة بالفواجع ، وتبقى نابتة في الذاكرة العراقية كجزء مستقطع من الزمن العراقي .

إن سعي السلطات والحكام في تركيا الى منع شعب كردستان من استعمال حقوقه والتمتع بالحياة التي منحها له الله ، أو في توفير فرصة الاختيار وصياغة المستقبل ، يجعل من تلك الإجراءات والتصرفات والوسائل السياسية التي تسلكها السلطة عدوانا صارخا يستوجب صدها والدفاع عن تلك الحقوق وعن الوجود الانساني مايجعله دفاعا مشروعا ، حيث يتعرض الأفراد ضمن تلك المناطق الى الانتهاك الصارخ والملاحقة والقتل والقمع والاستلاب ، مثلما تتعرض الأموال والأعراض والحريات للانتهاك، إضافة الى الغاء الحقوق كليا وشطب الأخر وعدم الإقرار بالمساواة الإنسانية التي يتبجح الدستور بها وبالتالي لايكون أمام الإنسان إلا استغلال حقه المشروع في الدفاع الشرعي .

إن مفهوم حق الدفاع عن النفس يفترض وجود خصم مدجج بالسلاح على أهبة الانقضاض على عدوه ، هذا الخصم يعني تلك السلطات التي تتنكر لحقوق الشعوب ، وترفض الإقرار بحقهم الإنساني والقوات المسلحة وأدواتها المستخدمة في الحرب والقتال هي الوسيلة التي تهدد الحياة لقمع الصوت المطالب بحقه الإنساني ، والتي تستغلها وتستعملها السلطات القمعية ، ووفقا لهذا فإن تلك الترسانة العسكرية متأهبة للإنقضاض على الجسد الكردستاني لشله عن الحركة أو تقييدة أو منعه كليا ، وبالتالي يكون وفقا لهذا كل الحرية والحق في سلوك الطرق والوسائل التي تصد حركة الخصم ، ويصبح قتالها دفاعا عن النفس ، ويصبح قتالها مشروعا وفقا للمعايير الدولية ، لأنها لاتصد تلك الوسائل القاتلة فحسب بل تعبر عن رفضها واستنكارها لمنطق الغاء الحقوق الذي يصاحب الوسائل القاتلة المستخدمة من قبل السلطات الشوفينية .

وإذا كان قانون العقوبات قد أخذ بمبدأ حق الدفاع الشرعي ، حيث أعتبر حق الدفاع الشرعي استعمالا لحق بمواجهة خطر حال على النفس أو على المال ، أو اعتقد المدافع قيام هذا الخطر الحال وكان اعتقاده مبنيا على أسباب معقولة ، فأن القانون الدولي يمنح ايضا الشعوب التي تناضل من أجل حريتها وكرامتها وحقوقها حق الدفاع الشرعي عن نفسها بالقوة التي تواجه بها الخطر الحال عليها ، ولغرض دفع تلك المخاطر التي تتعرض لها الجماعة، إضافة الى مواجهة الفاعل الخطير مواجهة فاعله، ويمكن أن تؤدي سياسة التنكر لحقوق الشعوب المضطهدة والمحكومة والمحرومة من حق تقرير مصيرها الى اضطرار تلك الشعوب التمسك بتلك الحقوق ، ومواجهة تلك السياسات العسكرية والمتطرفة بما يدفع عنها خطر الفناء والموت ، فيأتي تصرفها في مواجهة تلك القوات العسكرية بالقوة المتقابلة دفاعا ليس فقط عن الحقوق والحريات ، إنما حق الدفاع الثابت عن النفس ، والدفاع الشرعي حق طبيعي وجد مع الإنسان وليس للقوانين دور فيه سوى حماية هذا الحق ، أي إن القانون لم يكن هو الذي أكتشفه أو أوجده ، إنما قامت القوانين بتنظيمه وإضفاء الصفة الشرعية عليه .

وإذ يلمس المجتمع البشري النداءات الواضحة والصريحة من جانب حركة التحرر الكردستاني التي تطالب بالحوار بديلا عن لغة الرصاص ، واستعدادها للتفاوض وحقن الدماء ، ليس من موقف الضعف إنما من موقف الثبات على المبادئ والحقوق ، فإن الإصرار على لغة الدم التي يتمسك بها ويصر على ممارستها الحكام والعقول الشوفينية الحاكمة في تركيا ، فإن هذا الأمر لايعني سوى التمسك بالخطر الحال الذي يدفع لسلوك حق الدفاع الشرعي .

هناك مبدأ قانوني معروف، وهو أن تطبيق أي قانون، سواء كان قانونا دوليا أم داخليا، ينبغي أن يتم وفق معايير وأسس القانون نفسه وليس عن طريق الخروقات الفاضحة والانتهاكات للقانون محل التطبيق ، ومادامت نصوص الإعلان العالمي لحقوق الإنسان تنص صراحة على حق الشعوب في تقرير مصيرها ، وحقها في اختيار شكل الحكم ، فإن عدم الاستجابة لتلك النصوص يشكل خرقا إنسانيا فاضحا لذلك الإعلان ، ويعبر عن مدى الاستهانة بتلك المواثيق والنصوص التي تمسك بها المجتمع الإنساني وأصبحت معيارا للتمدن ومقياسا لحقوق الإنسان ، فإذا كانت تلك الدول تلتزم في دساتيرها بحق الإنسان واحترام كرامته ، وتقر أيضا بحقوق الشعوب المتعددة في مناطقها الجغرافية في الحياة المشتركة ، فإنها تتمسك أيضا بالمساواة في الحقوق والواجبات بين جميع المواطنين في نصوص لاقيمة لها دون تطبيق ، وتصبح نصوصاً دعائية لغرض التسويق لاتجسد الحقيقة في التعامل الإنساني ، وهذه الخروقات ليست اعتباطية أو بالصدفة إنما هي من مرتكزات تفكير الحكام الأتراك ونظرتهم لحق شعب كردستان ضمن تلك المناطق ، حيث صار المواطن الكردي في تلك الدول مواطنا من الدرجة الثانية ، أو انه من العصاة على تلك السلطات ، إضافة الى التردي في الخدمات والتخلف الذي يعم مناطق كردستان تركيا ، نتيجة تلك النظرة والسلوك ، هذا التمييز المباشر أو غير المباشر يشكل تمايزا عنصرياً وكشفاً فاضحاً لحقيقة العلاقة بين السلطة وبين الإنسان في مناطق كردستان المتشظية ، حيث لاجنس أسمى من جنس ولايمكن مقياس المواطنة بدرجات مختلفة ، وبالتالي فإن الإقرار بحق تلك المجموعة البشرية يؤدي الى عدم التفريط بالإنسان وتحويل القدرات العسكرية والمادية الى مشاريع تنمية وبناء ورؤى مستقبلية تخدم الإنسانية بشكل عام ، وتمهد الطريق لقضية الحقوق والحريات التي يسعى لها الجميع .

ولكن الا يتم الالتفات الى العقل في قضية الإقرار بحق الآخر ؟ الا يمكن أن يحل الحوار والتواصل بديلا عن لغة النفخ والقتل والحروب ؟ الا تسعى تركيا في القرن الحادي والعشرين الى ترسيخ معالم للحياة الإنسانية تتناسب مع ما صارت عليه الإنسانية اليوم ؟ ثم الا يمكن الاستفادة من التجربة العراقية بعد كل هذا ؟

أور.. مدينة النبي ابراهيم (عليه السلام)

فواد يوسف قزانجي
اكاديمي

أور) urحالياً المقير) مدينة النور و الحضارة من اقدم المدن في العراق القديم. كانت بلدة زراعية في عصر العبيد (٤٠٠٠ق.م.) قبل ان يستوطن فيها السومريون بين (٣٥٠٠-١٨٥٠ق.م.) . و تعني اور لدى السومريين مدينة النور .(١) كما ذكرت في العهد القديم المقدس اي التوراة بأسم (اور الكلدانية) باعتبارها موطن ابي الانبياء ابراهام (ابراهيم) الذي نشأ فيها ثم هاجر مع عائلته الى بلاد كنعان (سوريا) . و جاء في اعمال الرسل المباركة (٨ : ٤) " ان ابراهام ضعن في ارض الكلدان و ذهب ليسكن في حران " . و يعتقد ان ذلك حدث في حدود عام (١٨٥٠ق.م.) لعله عام سقوط مملكة اور حسبما تشير الى ذلك المصادر اليهودية او في عام (١٦٥٠ق.م.) كما يشير الى ذلك اطلس اكسفورد للتاريخ القديم . ما يدلل على ان مدينة اور كانت متقدمة حضارياً في العالم القديم لأنها انجبت الانسان الذي عرف الله بأنه الخالق الوحيد . و ربما كان ابراهام احد احفاد النبي نوح الذي كان في مدينة شروباك القريبة الى أور باسم زيو سودرا او اوتانبشتي ❖❖ في زمن الطوفان الذي وجدت اثاره في اور و غيرها من مدن سهل شنعار و الذي يكون قد حدث نحو (٣٠٠٠ق.م.) (٢). نشأت أور قريبة من نهر الفرات و من خطوط المواصلات التي تجتاز صحراء كنعان . اذ كان نهر الفرات في الألف الثالثة قبل الميلاد يمر بجانب مدينة أور ، و هناك رقم طينية تتحدث عن ان اور كانت تستخدم القوارب لنقل البضائع شمالاً و جنوباً الى الخليج (البحر المر) و كانت اور احدى مراكز تجميع الحاصلات الزراعية و مصنوعات الفخار و المعادن كالنحاس و القصدير .

كما أشارت بعض الرقم السومرية ان لأور ميناء تجري فيه السفن و القوارب متجهة الى البحر الاسفل و كان الفرات و دجلة يصبان منفصلين في الخليج . اما الان فتبعد أور غرباً عن الفرات زهاء (١٢كم) و تبعد عن مدينة الناصرية قرابة (١٥كم) مركز محافظة ذي قار المسماة بأسم أرض اور . حكم في هذه المدينة ثلاث سلالات ملكية عرفنا الشئ الكثير عن حياتهم بعد اكتشاف المقبرة الملكية في اور بكنوزها و ادواتها المنزلية و قيثاراتها و فنونها و أثاثها المأتمي و تماثيلها الصغيرة و اختام الملوك الاسطوانية . و عرفنا ان الملكة شبعاد shab-adقد حكمت مملكة أور في حدود (٢٦٠٠ق.م.) و التي وجدت حليها و مجوهراتها في المقبرة الملكية الواسعة التي تعود معظمها الى هذه الفترة و التي احتوت على " حلى ذهبية لعلها الأقدم في بلاد الرافدين و مصاغات فضية و بعض الاحجار الكريمة مما يظهر ثروة أور بالإميليالى صناعة المجوهرات التي بدأت في هذه الفترة السحيقة من الزمن . و كانت الملكة شبعاد قد دفنت مع حاشيتها و مجوهراتها و ادوات الزينة و ادوات موسيقية تعود اليها . و كانت شبعاد ممددة في مدفنها الى جانب الملك ، و يعتقد ان التقاليد في تلك المدينة و في تلك الفترة تشير انه عند وفاة الملك فأن زوجته و حاشيتها يدفنون معه احياء وذلك من اجل استمرار تقديم الخدمة للملك في العالم السفلي "(٣) . و لعل مصدر قصة دفن حاشية الملك احياء عند وفاة الملك قد ذكرت في قصة الف ليلة و ليلة . و من بين المكتشفات الأخرى في المقبرة الملكية حلى صدفية منحوتة مع رسوم فسيفسائية إميليالى الاختام الأسطوانية ما يدلل على مظاهر حضارية متميزة في تقاليد الملوك في بلاد الرافدين . و حكمت سلالة اور الاولى مدينة اور و ما جاورها من مدن مثل اريدو و لارسا ووصل

❖أور الكلدانية التي ولد و نشأ فيها النبي ابراهيم هي غير قرية اور قرب حران كما تدعى بذلك المصادر اليهودية الحديثة .

❖❖ القراءة الجديدة لأسم اوتانشتم (انظر ملحمة كلكامش ترجمة و تحرير اندرو جورج ١٩٩٩ بالانكليزية) نفوذ حكم ملوكها الى مدينة كيش قرب باب ايلو (بابل). و برز من ملوكها الملك لوكال زاكيزي الذي حكم بلاد سومر بأكملها في الفترة (٢٤٠٠٢٣٧١ – ق.م.) . أعقب ذلك سيطرة اقوام لعلهم الفراتيون العراقيون الذين سموا بالاكديين بقيادة سرجون الاكدي (٢٣٧١٢٣١٦ – ق.م.) الذي انطلق من عاصمته اكد او اكده في وسط العراق و استطاع ان يدحر الدويلات السومرية الواحدة تلو الآخرى حتى وصل مملكة اور فحاصرها فترة قصيرة حتى سقطت بيديه و بعد ان سيطر على بلاد ما بين النهرين زحف شمالاً و شرقاً حتى وصل البحر الاعلى (المتوسط) و سمى سرجون نفسه ملك سومر و أكد و ملك الجهات الاربع . ثم تلى فترة الاكديين غزو القبائل الكوتية للعراق الذي قدموا من خلف جبال زاكروس و احتلوا معظم شمال شرق العراق في الاعوام (٢٣٣٠٢١٢٠ – ق.م.) و جعلوا مدينة كاسور الاكدية التي تبعد (٢٠كم) عن اربخا (كركوك)، عاصمة لهم و سموها (نوزي او نوزو) و كانت نهاية الغزاة الكوتيين على يد الأمير السومري (اوتو –خيكال) امير مملكة اوروك الذي ثار على الكوتيين و جمع جيشاً عراقياً من المدن السومرية و هاجم عاصمتهم نوزي في زمن ملكهم (تريكان) و استطاع جيشه ان يدحر الكوتيين الذي فروا باتجاه الجبال عام (٢١١٤ق.م.) . و قد أسس الملك اوتو –خيكال سلالة اوروك الخامسة (٢١١٤ -١٢٢٠ ق.م.) و أصبحت مملكة أور تابعة له ، لكن امير مملكة أور (اور –نمو) ثار عليه بعد ان تحالف مع الدويلات القريبة من مملكته ، و استولى على بقية المدن السومرية بالتتابع بما فيها أوروك ، و أسس سلالة سومرية جديدة في المملكة هي سلالة اور الثالثة (٢١١١٢٠٠٣ – ق.م.) و تبعه في الحكم ابنه شولكي ثم حفيده امر –سين و بعده جاء شو –سين و آخرهم ابي –سين . و كان الملك الشهير اورنمو قد بسط سيطرته اخيراً في عهده و خصوصاً بعد ان أقام العدل و أصدر تشريعات قانونية لتأمين الاحوال الأقتصادية و الاجتماعية و بذلك تعد أول قوانين سنت في العراق القديم و ربما في العالم بأسره (٢١١١٢٠٩٤ – ق.م.) . و قد احتوت شريعة اورنمو على (٣١) مادة قانونية ، كما ضمت مقدمة هذه الشريعة بما يشبه اصول القوانين الحديثة التي تتحدث عن مبررات اصدار ذلك التشريع . و مما جاء فيها ما يتعلق بالتجارة البحرية نصها : " بأنها يجب ان تكون خاصة لمراقبي الملاحة " . و أشارت المادة السادسة مثلاً انه " اذا طلق الرجل زوجته الأصلية ، عليه ان يدفع لها (مناً) من الفضة " (٤) . و هذه القوانين العراقية الأولى تسبق قوانين (لبت –عشتار) ملك أيسن بقرن من الزمن تقريباً كما تسبق قوانين اشنونا بقرن و نصف تقريباً و تسبق ايضاً حمورابي بثلاثة قرون تقريباً . و كان الملك اورنمو قد اتخذ لقباً سياسياً و هو ملك سومر و أكد إميليالى لقب الامبراطور العراقي الأول سرجون الأكدي (ملك الجهات الأربع) . و قد تميز عهده و عهد احفاده بأحياء الثقافة و التراث السومري ن حيث خلفوا لنا نتاجا حضاريا وجد في الكتابات المسمارية التي دونت على رقم عثر عليها في مكتبة سبار ، كما سجل اعماله على مسلة حجرية وثقت منجزاته و حروبه التي قام بها و هي محفوظة في جامعة بنسلفينيا في امريكا . و كان اورنمو قد شرع ببناء زقورة ضخمة اكملها ابنه الملك شولكي فيما بعد و هي " ذات ثلاث طبقات مبنية من اللبن (الطابوق غير المفخور) المغلف بطابوق مفخور مغمس بالزفت ، و هي تشبه هرماً مدرجاً ، و في قمة الزقورة معبد مقدس ، هو عند اهالي اور يعتبر حجرة نوم الالهة نانا (سين) الهة القمر ، و هي الالهة الحامية لمدينة اور و ملكتها السماوية . اما ابعاد الزقورة او المصطبة المدرجة ، فتبلغ الطبقة السفلى (٤٦ x ٤٦ م) تقريباً اما ابعاد الطبقة الثالثة فهي (٤٠ x40)تقريباً. و هناك دعامات ناتئة نتوءاً خفيفاً من ثلاثة جدران . كما ان هناك ثلاثة سلالم كبيرة على الجانبين الشمالي و الشرقي في كل واحد منها (١٠٠) درجة احدها يقع على زاوية قائمة مع مركز الزقورة و الآخران يميلان مع جدرانها . و الثلاثة يلتقون فيما بين مدخل الطبقة الأولى و الثانية ، و من هذا المدخل يصعد سلماً واحداً نحو الطبقة العليا حيث يوجد باب غرفة الالهة الصغيرة و كان الجزء الأسفل من الزقورة قد بني من زمن اورنمو و هو ما يزال باقياً حتى الان بحالة مدهشة ، وما تبقى من الجزء العلوي يكفي لتمكيننا من اعادة تصور شكل الزقورة بدقة . و قد اظهرت اعمال التنقيب انه في الالفية الثالثة قبل الميلاد كان المعماريون السومريون عارفين بهندسة الاعمدة و الأقواس و البناء بالعقادة و القباب و غيرها مع كل الاشكال المعمارية الهندسية " (٥). و الزقورة التي تكررت في المدن السومرية كانت تعتبر مركزاً للمدينة يمثلها الاله الذي يلتقي حوله جميع الناس ، مما يشير الى ان السومريين ربما جاءوا من ارض جبلية بحيث كانوا يضعون الهتهم في اعلى الجبال ، و ارادوا تمثيل ذلك على الارض المستوية في بلاد الرافدين . و لعل اعلى زقورة هي زقورة بابل التي تخربت و نقل طابوقها و استعمل للبناء فيما بعد التي يذكر ان ارتفاعها اكثر من خمسين متراً و من حسن الحظ انه لدينا وصفها في كتابات هيرودتس . لكن اكبر زقورة لا تزال موجودة بعد اعمارها هي زقورة مدينة (دور –كوريكالزو) عاصمة الاقوام الكاشية في موقع عكركوف شمال غربي بغداد . و قد امتد نفوذ الملك اورنمو الى بلاد عيلام (الأهواز) و سواحل البحر الأسفل و شمالاً حتى جبال طوروس ، و اتخذ لقب الملك سرجون (ملك سومر و أكد و ملك الجهات الأربعة) ، و هناك معبد ثاني بني في اور يدعى (داب- لال –ماخ) يقع قبالة الزاوية الشرقية للزقورة ، بالإميليالى ذلك فقد وجد في المدينة ثلاثة معابد اخرى هي (نن –كال) و (نون –ماخ) و (كوك –جار –كر) . و يذكر ان آثار رصيف ميناء على الفرات القديم وجدت في جنوب غرب المدينة حيث ابتعد الفرات بضعة كيلومترات على الارجح في القرن الرابع قبل الميلاد . و من الجدير بالذكر ان الملك شو –سين الملك الرابع الذي دام حكمه زهاء تسع سنوات شغلها مثل اسلافه في مشاريع البناء و التشييد و الحملات الحربية ، و نال مثلهم ايضاً نصيباً من التقديس و التعظيم . ففي البناء قام بتجديد المعابد في اور و المدن السومرية الاخرى حيث دونت اخباره ، نذكر منها على سبيل المثال بناءه لمعبد الاله (شارا) في مدينة (اوما) و قد استغرق بنائه سبع سنوات. وبرغم استتباب السلم في ارجاء المملكة السومرية التي كانت تشمل ما بين النهرين بأكملها ، فقد شن حملة اجتازت جبال زاكروس و استطاع فيها دحر تحالف الدويلات العيلامية . و عين في تلك المنطقة حاكماً من اور . كما ارسل حملة اخرى الى الجهات الشمالية الشرقية و سجل انتصاره في منحوتات وصفها في المدينة المقدسة نيبور . و في تلك الفترة بدأت الأقوام الأمورية او الكنعانية الشرقية تندفع من مملكة ماري الى بلاد ما بين النهرين (العراق) لذلك قام الملك شو –سين بأنشاء سور كبير وواسع على طول نهر الفرات الذي يجتاز بلدة توتل (هيت) و أقتضى هذا السور كسر ضفاف النهرين دجلة و الفرات لملأ الخندق الملاصق للسور ، و يبدأ السور الترابي في الموضع المسمى قنال canal ابكلات ، و كان طوله في حدود (٢٧٥كم) و ان طرفه الغربي عند بلدة بالوكات (الفلوجة) و بحيرة الحبانية . و قد سمي هذا السور العظيم (مورق –تدنم) اي سور الأموريين و يقصد السور الذي بني لصد الأموريين . لكن هذا السور تم تحطيم اجزاء منه تحت وطأة الاف العابرين من الأموريين المندفعين نحو بلاد سومر و اكد الغنية و المتحضرة و الكنوز التي يحلم بها الغزاة من خارج بلاد النهرين ، و اخيراً استطاعت هذه الحشود الغازية من دحر جيش ملك اور الأخير ابي –سين بعد ان دامت أمبراطورية اور زهاء القرن الواحد (٢١١٢٢٠٠٤ – ق.م.) . و كانت هذه المملكة قد اصابها الضعف و التشتت قبل ذلك حينما قامت ثورات و عصيان لبعض المدن السومرية و انفصالها عن الحكومة المركزية في اور . و قد فسرت الكتابات في اور و نيبور سقوط امبراطورية اور الى غضب الالهة و خاصة انليل و الالهة العظام على اور و على الهها (ننا) و ملكها فسلطت هذه الالهة على سومر القحط و المجاعة و الاعداء الغرباء و اشادت الى ذلك القصائد الحزينة التي نظمت في رثاء مدينة اور . و يعد سقوط مملكة اور و انحلال دويلات المدن السومرية نهاية للحكم السومري الذي سرعان ما حل حكم الأموريين الذي اطلق عليهم بالبابليين حينما كونوا لهم مملكة عاصمتها كانت بلدة (باب –ايلو) بابل . و اشتهر ملكها الثالث حمورابي الذي أسس امبراطورية عراقية ثالثة هي الأمبراطورية البابلية بعد ان استولى على المدن السومرية ثم و جاء الكاشيون الذي قدموا من خلف جبال زاكروس و حكموا بلاد بابل لمدة تقارب (٢٥٠) عاماً . كانت المساكن الخاصة بالمواطنين في مدينة اور ، تعد بيوتاً مريحة و فسيحة قياساً الى بيوت المدن الاخرى اذ تتسع ليس فقط لأفراد العائلة بل الى الخدم و الضيوف ، و هي ذات طابع يؤمن للبيت الخصوصية ويتلائم مع المناخ الحار صيفاً و تتألف معظمها من طابق واحد متلاصقة مع بعضها و هي على شكل مربع او مستطيل مفتوح اي ذو مساحة مكشوفة في وسطها البئر الذي يستقي منه الماء . بعد ستماية سنة من اقامة معبد نانار (الهة القمر) حل الخراب فيه ، و في عام (٦٥٠ق.م.) قام احد الملوك الآشوريون بأعادة بناء المعبد و كان قد فصلت غرفة الأستقبال عن موضع العبادة و هو أمر يختلف عن الطراز السومري (٧). و شهدت اور في ايام الملك نبوخذنصر ازدهاراً نسبياً اذ اعاد بناء الاجزاء الرئيسية من المدينة ، اما الملك نابونائيد آخر ملوك بابل الذي كان شديد التدين ، فقد أعاد بناء المعبد و الزقورة ، و بنى له قصراً بجانبها كموضع للراحة و الصلاة بقرب الالهة نانار (سين) التي كان يبجلها كثيراً اذ يعتبرها سيدة الالهة . و قد وجد في احد المعابد المجاورة للزقورة تمثالاً مقطوع الرأس مصنوعاً من حجر الديوريت للملك انتمينا ملك لكش الذي كان يعد نفسه ملكاً على اور ايضاً و على معظم الدويلات السومرية في احد فترات ضعف مملكة اور . و في نفس الفترة وجد في معبد ننار لوح حجري محفور ببراعة عليه مشهدان : فالعلوي يمثل ملكاً و معه ابناؤه و هم يصبون سائلاً ما امام الاله الجالس على شكل تمثال . اما في المشهد السفلي فهناك كاهن يصب زيتاً او سائلاً و خلفه امرأة شبه عارية لعلها كاهنة المعبد (٨). و قد اهتم بمدينة اور بعد زوال سلالة اور الثالثة الملك ورد –سوين (١٨٣٤- ١٨٢٣ ق.م.) احد ملوك لارسا .

المصادر
١, قاشا ، بشار . اور مدينة ابراهيم الخليل . بين النهرين عدد (١٠٩) 2000 (110 – ص٧٦) .
٢, الصيواني ، شاه محمد علي . اور بين الماضي و الحاضر . بغداد : المديرية العامة للآثار ، ١٩٧٦ (ص ١٢– 18) .
3.رشيد ، فوزي . الشرائع العراقية القديمة . بغداد : دار الرشيد ، ١٩٧٩ (ص٢٥. (34 –
4.الصيواني شاه . اور ... المصدر السابق (ص ٢١) .
٥, محمد ، مشتاق طالب (مترجم) . مدن العراق القديمة مترجمة عن الموسوعة البريطانية . مجلة ميزوبوتاميا (ص ٧٢ (73 –
6. woolley , Leonard . Ur of chaldees . London : Pelican , n.d. (PP.72 – 73).
7.باقر ، طه . مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة . بغداد : دار الشؤون الثقافية (ط٢/ ١٩٨٦) ص ٣٩٠– 392 .
8. woollay, L. Ur… Op.cit . (p.59)